الفصل السابع

النـهاية

محاولة اغتيال السلطان

في أحد أيام الجمع من شهر أغسطس عام ١٩٠٥ ،وبينما كان السلطان عبد الحميد يهم بالرجوع إلى القصر، انفجرت قنبلة عظيمة وأحدثت دوياً هائلاً، أسفرت عن مقتل ثلاثة وعشرين وجرح ثمانية وخمسين رجلاً وقد تأكد أن محاولة الاغتيال هذه استهدفت قتل السلطان عبد الحميد، وكانت من تدبير الثوار الأرمن وبعد أن أجرت اللجنة المشكلة التحقيقات والاستجوابات التي بلغت أكثر من ألف صفحة تبين أن الثوار كانوا يهدفون إلى قتْل السلطان عبد الحميد في يلدز، فإذا حققوا ذلك، فانهم سيستغلون الفوضى الناتجة عن الحادثة، والارتباك الشديد لدى قوات الحكومة، وسيقومون بإحداث تفجيرات مماثلة في الباب العالي والسفارات والبنوك والأنفاق والجسور وغيرها من المنشآت الرسمية والخاصة، لإعطاء فرصة للدول الأوروبية للادعاء باختلال الأمن،والتدخل الفعلي،وتحقيق مايدور في مخيلتهم.

والمسألة الأرمنية في تركيا مسألة قديمة جداً فمنذ عهد عالي باشا والأرمن يلقون الحماية والدعم من الخارج، وغرّتهم أحلام تأسيس مملكة أرمنية، فصاروا مطية للأطماع السياسية لبعض الدول، فبقوا أعواماً طويلة يقومون بثورات علهم يصلون إلى هدفهم المنشود.

واستطاع الأرمن بدعم بعض المحافل في أوروبا ومساعداتهم المادية، تشكيلَ لجان في الداخل والخارج، ودخول المعترك السياسي والإعلامي

بكافة صوره وأشكاله وكانت خطتهم تقضي بإثارة مشاكل في الداخل، لإعطاء صورة سيئة عن الوضع الأمني وإتاحة الفرصة للدول الأوربية كي تتدخل، وخدمة آمال الأرمن نتيجة لذلك التدخل.

الإطاحة بحكم السلطان عبد الحميد الثاني

كان السلطان عبدالحميد الثاني شديد الحذر من جمعية الاتحاد والترقي المدعومة باليهود والماسونية، والدول الغربية واستطاع جهاز مخابرات السلطان عبدالحميد أن يتعرف على هذه الحركة ويجمع المعلومات عنها؛ إلا أن مراقبة أعضاء هذه الحركة جاءت في وقت متأخر ، حيث دفعوا الأهالي الى مظاهرات صاخبة في سلانيك ومناستر واسكوب وسوسن مطالبين بإعادة الدستور، بالإضافة الى أن المتظاهرين هددوا بالزحف على القسطنطينية الأمر الذي أدى بالسلطان إلى الرضوخ لمطالب المتظاهرين فقام بإعلان الدستور وإحياء البرلمان في ٢٤ يوليو ١٩٠٨م، وكانت هناك عدة أسباب جعلت جميعة الاتحاد والترقي تبقي السلطان عبدالحميد الثاني في تلك الفترة على العرش منها:

١- لم تكن في حوزة الاتحاد والترقي قوة كافية لعزله عام ١٩٠٨م.

٢- اتباع عبدالحميد الثاني سياسة المرونة معهم، وذلك بتنفيذ رغباتهم بإعادة الدستور.

٣- ولاء العثمانيين لشخص السلطان عبدالحميد وهذه النقطة واضحة، حيث أن لجنة الاتحاد والترقي لم تكن لديها الجرأة الكافية لنشر دعايتها ضد السلطان عبدالحميد الثاني بين الجنود ، لأن هؤلاء كانوا يبجلون السلطان.

إن الصهيونية العالمية لم تقتصر على الانقلاب الدستوري لعام ١٩٠٨م ، بل تعاونت مع جمعية الاتحاد والترقي لتحقيق مكاسب أخرى في فلسطين ، وعليه كان لابد من التخلص من السلطان عبدالحميد الثاني نهائياً ولذلك دبرت أحداث ١٩٠٩م في استانبول وترتب على أثرها، اضطراب كبير قتل فيه بعض عسكر جمعية الاتحاد والترقي؛ عرف الحادث في التاريخ باسم حادث ٣١ مارس.

وقد حدث هذا الاضطراب الكبير في العاصمة بتخطيط أوروبي يهودي، مع رجال الاتحاد والترقي تحرك على أثره عسكر الاتحاد والترقي من سلانيك ودخل استانبول، وبهذا تم عزل خليفة المسلمين السلطان عبدالحميد الثاني من كل سلطاته المدنية والدينية ثم وجهت إليه جمعية الاتحاد والترقي التهم التالية :تدبير حادث ٣١ مارس -إحراق المصاحف - الإسراف -الظلم وسفك الدماء.

مع أن جميعة الاتحاد والترقي العثمانية، تبنت الأفكار الغربية المضادة للاسلام وللفكر الاسلامي؛ لكنها استغلت الدين عند مخاطبتها للناس للتأثير فيهم، وكسب أنصار لهم في معركتهم ضد السلطان عبدالحميد

الثاني وقد نجحوا في ذلك.

تقول الجمعية في بياناتها إلى العثمانيين:(أيها العثمانيون: إن مقصدنا هو سلامة الدولة والخلافة، ولم يعد أحد يجهل هذا)(وبعون الباري وهمة الأخوة)و(أيها المسلمون: كفانا أن نقوم بدور المتفرج على سلطان جبار، عديم الايمان، يسحق القرآن تحت أقدامه، وكذلك يسحق الضمير والايمان) و(استيقظوا ياأمة محمد) و(الشجاعة الشجاعة يامسلمون الشجاعة منا والعون من الله. نصر من الله وفتح قريب) و(أيها المسلم الموحد اقرأ باسم ربك)و(انهض أيها المسلم الموحد! وانقذ دينك، وإيمانك من يد الظالمين وأنقذ بذلك نفسك! فهنا شيطان جبار يحمل فوق رأسه تاجاً وفي يده دينك وإيمانك فأنقذ دينك منه وإيمانك أيها الموحد) و(ياأيها المسلمون: إن السلطان عبدالحميد شرعاً ليس بسلطان، ولا خليفة! ومن لايصدق قولنا هذا : فلينظر في الكتاب والسنة لقد أبرزت جمعيتنا بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأوامر الله وأوامر الرسول الموجهة إلى الحكومة والأهالي لكن السلطان عبدالحميد، أشاح بوجهه بعيداً عن أوامر الله ، وأوامر الرسول وبالتالي : أثبت ظلمه ولم يخجل من الاعتراض على الله؛ لذلك ينبغي على شعبنا ، أن يلجأ الى السلاح ضده وإذا لم يفعل الشعب هذا، فليتحمل إذاً وزر ما عليه السلطان عبدالحميد من ظلم.

إن التهم التي وجهت للسلطان عبدالحميد الثاني لاتثبت أمام البحث

العلمي، والحجج، والبراهين الدالة على برائته التامة مما ينسب إليه، فقد أثبتت الأدلة عدم علم السلطان عبدالحميد بحادث ٣١ مارس، كما أنه من المحال إحراق السلطان عبدالحميد للمصاحف، فهو سلطان معروف بتقواه، ولم يعرف عنه ترك الصلاة واهمال للتعبد، كما أنه معروف بعدم اسرافه ولأنه لايعرف الاسراف فقد كان المال يتوفر معه دائماً لذلك فقد أزاح من على كاهل الدولة أعباء كثيرة من ماله الخاص وعن ظلمه وسفكه للدماء فلم يعرف عن السلطان عبدالحميد هذا، وسفك الدماء لم يكن أبداً ضمن سياسته ولم يغب عن بال الانقلابيين الضغط على مفتي الاسلام محمد ضياء الدين لإصدار فتوى الخلع ففي يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر أبريل عام ١٩٠٩م اجتمع ٢٤٠ عضواً من مجلس الأعيان في جلسة مشتركة وقرروا بالاتفاق خلع السلطان عبدالحميد الثاني وكتب مسودة الفتوى الشيخ نائب حمدي أفندي المالي لكن أمين الفتوى نوري أفندي الذي دعى للاجتماع رفض هذه المسودة وهدد بالاستقالة من منصبه ان لم يجر تعديل عليها وأيده في التعديل عدد من أنصاره من النواب فعدل القسم الأخير على أن يقرر مجلس المبعوثان عرض التنازل عن العرش أو خلعه وبتكليف من جمعية الاتحاد والترقي تم تكوين لجنة لإبلاغ خليفة المسلمين وسلطان الدولة العثمانية عبدالحميد الثاني بقرار خلعه وكانت هذه اللجنة تتألف من:

١- إيمانويل قراصو: وهو يهودي أسباني كان من أوائل المشتركين في

حركة تركيا الفتاة وكان مسؤولاً أمام جميعة الاتحاد والترقي عن إثارة الشعب وتحريضه ضد السلطان عبدالحميد الثاني وتأمين التخابر بين سلانيك واستانبول فيما يتعلق باتصالات الحركة.

٢- آرام : وهو أرمني عضو في مجلس الأعيان العثماني.

٣- أسعد طوبطاني: وهو ألباني ، نائب في مجلس المبعوثان عن منطقة دراج.

٤- عارف حكمت: وهو فريق بحري وعضو مجلس الأعيان، وهو كرجبي العراق.

ويروي السلطان عبدالحميد في مذكراته تفاصيل هذه الحادثة فيقول : إن مايحزنني ليس الابعاد عن السلطة، ولكنها المعاملة غير المحترمة التي ألقاها بعد كلمات أسعد باشا هذه والتي خرجت عن كل حدود الأدب ،حيث قلت لهم: إنني أنحني للشريعة ولقرار مجلس المبعوثان ذلك تقدير العزيز العليم، سوى إني أؤكد أنه لم يكن لي أدنى علاقة لا من بعيد ولا من قريب بالأحداث التي تفجرت في ٣١ مارس ثم أردف قائلاً: إن المسؤولية التي تحملتموها ثقيلة جداً.

ثم أشارالسلطان عبدالحميد إلى قره صو قائلاً :ماهو عمل هذا اليهودي في مقام الخلافة؟ وبأي قصد جئتم بهذا الرجل أمامي؟ لقد اعتبر اليهود والماسونيون هذا اليوم عيداً لهم، وابتهجوا به وساروا فى مظاهرة كبيرة في مدينة سلانيك، ولم يكتف الماسونيون بذلك بل طبعوا

صورة هذه المظاهرات في بطاقات بريدية لتباع في أسواق تركيا العثمانية ولمدة طويلة ولقد كان الاتحاديون يفتخرون دائماً بأنهم ماسونيون وأدلى رفيق مانياسي زادة بتصريحات إلى صحيفة تمبس الفرنسية في باريس عقب نجاح انقلاب حركة الاتحاد والترقي، جاء فيها:(لقد كانت للمساعدات المالية والمعنوية التي تلقيناها من الجمعية الماسونية الايطالية التي أمدتنا بالعون العظيم نظراً لارتباطنا الوثيق بها وفي مقال نشر في جريدة بويوك ضوغو التركية في ٢ مايو عام ١٩٤٧م العدد ٦١ يقول محرم فوزي طوغاي تحت عنوان فلسطين والمسألة اليهودية الآتي: منع السلطان عبدالحميد تحقيق هدف إنشاء دولة يهودية في فلسطين، وكلف هذا المنع السلطان عبدالحميد غالياً وأودى بعرشه، وأدى هذا فيما بعد إلى انهيار الدولة العثمانية كلها رغم أنه كان يدرك كما قال نظام الدين لبه دنلي أوغلو في دراسته عن دور اليهود في هدم الدولة العثماينة أن: اليهود يمتلكون قوى كثيرة تستطيع النجاح في العمل المنظم ، فالمال كان عندهم والعلاقات التجارية الدولية كانت في أيديهم كما كانوا يمتلكون الصحافة الأوروبية والمحافل الماسونية

<u>بعد سقوط الخلافة:</u> ان وخز الضمير أشعر بعض من اشترك فى ابعاد السلطان واسقاط الخلافة بالندم فقد اكتشف بعض أقطاب حركة الاتحاد

والترقي فيما بعد أنهم وقعوا تحت تأثير الماسونية والصهيونية، فهذا أنور باشا الذي لعب دوراً مهماً في إنقلاب عام ١٩٠٩م، يقول في حديث له مع جمال باشا أحد أركان جميعة الاتحاد والترقي :أتعرف ياجمال ماهو ذنبنا؟ وبعد تحسر عميق قال : نحن لم نعرف السلطان عبدالحميد ، فأصبحنا آلة بيد الصهيونية،واستثمرتنا الماسونية العالمية، نحن بذلنا جهودنا للصهيونية فهذا ذنبنا الحقيقي .

وفي هذا المعنى، يقول أيوب صبري قائد الاتحاديين العسكريين :لقد وقعنا في شرك اليهود ، عندما نفذنا رغبات اليهود عن طريق الماسونيين لقاء صفيحتين من الليرات الذهبية في الوقت الذي عرض فيه اليهود ثلاثين مليون ليرة ذهبية على السلطان عبدالحميد لتنفيذ مطالبهم، إلا إنه لم يقبل ذلك.

ويقول في هذا الصدد برنارد لويس :لقد تعاون الاخوة الماسونيون واليهود بصورة سرية على إزالة السلطان عبدالحميد، لأنه كان معارضاً قوياً لليهود، إذ رفض بشدة إعطاء أي شبر من الأرض لليهود في فلسطين.

وعلق نجم الدين أربكان زعيم حزب الرفاه في تركيا على هذا الموضوع قائلاً :إن الحركة الماسونية سعت سعياً شديداً لعزل السلطان عبدالحميد، ونجحت في سعيها وأن أول محفل فتح في تركيا العثمانية

كان على يد أميل قره صو وهو صهيوني وقد انصم إليه ضباط منطقة سالونيك.

وبعد إبعادالسلطان عبدالحميد الثاني من السلطة، عبرت الصحف اليهودية في سلانيك عن غبطتها في الخلاص من مضطهد اسرائيل كما وصفته هذه الصحف وفي هذا الصدد يقول لوثر : وبعد إبعاد عبدالحميد من السلطة ، عبرت الصحف اليهودية في سلانيك عن غبطتها، وأخذت تزف البشائر بالخلاص من مضطهد اسرائيل الذي رفض استجابة طلب هرتزل لمرتين، والذي وضع جواز السفر الأحمر الذي يقابل عندنا قانون الأجانب.

واستمرت الحملات الاعلامية المنظمة تشهر تشهيراً عنيفاً بالسلطان عبدالحميد الثاني واستهدف أعداء الاسلام من تلك الحملات:

١- الدفاع عن أعضاء الاتحاد والترقي، مبررين تصرفهم في إنهاء حكم السلطان عبدالحميد كي تسترد الدولة مكانتها.

٢- تغطية فشل الاتحاد والترقي في حكم الدولة، فقد لجأ رجال الاتحاد والترقي إلى القوة والاستبداد ، وأثاروا الفرقة بين سكان البلاد.

٣- إبراز صورة مشرقة لعهد الطاغية الملحد مصطفى كمال آتاتورك وأعوانه، وتبرير تصرفات عملاء اليهود والانجليز والدول الغربية في إلغاء الخلافة والسلطنة وإعلان الجمهورية التركية.

٤- رغبة الصهاينة في تدمير سيرة السلطان عبدالحميد الثاني إنتقاماً منه لسياسته المعادية لأهدافهم في فلسطين.

والحقيقة أنه لولا أصالة الدولة العثمانية وعراقتها وشموخها لأصبحت هباءاً منبثاً، وطويت صفحاتها في القرن الثامن عشر أو القرن التاسع عشر، ولكنها ظلت تقاوم عوادي الزمن أكثر من قرنين ونتيجة للزحف الاستعماري ، والكيد اليهودي ، والنخر الماسوني ، والضعف الشديد الذي انتاب الدولة ، ولم يكن للسلطان عبدالحميد مسؤولاً عنه لغدت ممتلكات الدولة نهباً بين الدول الأوروبية التي كانت تخطط منذ زمن بعيد للقضاء على الدولة.

<u>وفاة السلطان عبد الحميد رحمه الله</u>: توفي السلطان عبد الحميد الثاني في ٢٨ ربيع آخر ١٣٣٦ هـ - ١٠ فبراير ١٩١٨م في منفاه عن ستة وسبعين عاماً، وتقول الأميرة عائشة وهي تصف حالته علي فراش الموت وكان كأنما يودع من حوله آنذاك إذ امسك بيد أمي وقبل راحتها أولاً وقال لها جزاك الله خيراً ثم أمسك بيد صالحة ناجية هانم ، وودعها وهو يقول سامحيني في حقك وقال للقلفة كلشن الواقفة عند قدميه إبنتي جزاك الله خيراً ثم أخذ رشفة من القهوة ، وقبل أن يأخذ الثانية ، إنسكبت علي كف أمي ، وقال بصوت عال الله ثم سقطت رأسه علي ذراع أمي.

وفاضت روحه رحمه الله يوم الاحد ١٠فبراير ١٩١٨واشترك في تشييع جنازته الكثير من المسلمين، ورثاه كثير من الشعراء، بمن فيهم أكبر معارضيه رضا توفيق الذي كتب يقول:

عندما يذكر التاريخ اسمك يكون الحق في جانبك ومعك أيها السلطان العظيم كنا نحن الذين افترينا دون حياء على أعظم سياسي العصر قلنا: إن السلطان ظالم، وإن السلطان مجنون قلنا لا بد من الثورة على السلطان وصدقنا كل ما قاله لنا الشيطان رحمك الله أيها السلطان وقام برثاءه أمير الشعراء أحمد شوقي حيث قال:

ضجت عليك مآذن ومنابر ** وبكت عليك ممالك ونواح الهند والهة ومصر حزينة ** تبكي عليك بمدمع سحاح والشام تسأل والعراق وفارس ** أمحا من الأرض الخلافة ماح؟ نزعوا عن الأعناق خير قلادة ** ونضوا عن الأعطاف خير وشاح من قائل للمسلمين مقالة ** لم يوحها غير النصيحة واح عهد الخلافة فيه أول ذائد ** عن حوضها بيراعه نضاح إني أنا المصباح لست بضائع ** حتى أكون فراشة المصباح

كما رثاه شاعر العراق جميل صدقي الزهاوي، بقصيدة عن العهد الحميدي قال فيها:

وقد بعث الله الخليفة رحمة ** إلى الناس إن الله للناس يرحم

أقام به الديان أركان دينه ** فليست على رغم العدى تتهدم
وصاغ النهى منه سوار عدالة ** به إزدان من خود الحكومة معصم
وكم لأمير المؤمنين مآثر ** بهن صنوف الناس تدري وتعلم
ويشهد حتى الأجنبي بفضله ** فكيف يسيء الظن من هو مسلم
سلام على العهد الحميدي إنه ** لأسعد عهد في الزمان وأنعم

قالوا عن السلطان عبد الحميد:

ان بعض ساسة أوروبا يريدون أن يصوروا السلطان عبد الحميد عدواً متعصباً ضد المسيحيين ، وليس هناك ادعاء فارغ أكثر من هذا الإدعاء لأن القول بأن السلطان الذي يختار لوزارة مالية الامبراطورية ولرئاسة أطباء القصر السلطاني أشخاصا مسيحيين من رعاياه ، ويعطي مثل هذه المناصب المهمة لغير المسلمين من الروم والأرمن ، شخص متعصب ضد المسيحيين هو كذب وتصرف لا أخلاقي وبعيد عن الحقيقة ولكن هناك دوماً في كل زمان ومكان منصفون يُجري الله الحقّ على لسانهم ليُزهقوا به الباطل، خصوصاً كُتَّاب الغرب الذين شهدوا بما أملاه عليهم ضميرهم، فيذكر رئيس جامعة بودابست اليهودي أرمينيوس وامبري الذي زار تركيا عام ١٨٩٠م، والتقى بالسلطان،قال : السلطان عبد الحميد ذو إرادة حديدية، وعقل سليم شخصية وخُلُق وأدب رفيع جدًّا، يعكس التربية العثمانية الأصيلة، ولا تحسبوا معلوماته الواسعة تخص الإمبراطورية العثمانية المنهكة وحدها، فمعلوماته حول أوروبا

وآسيا وأفريقيا حتى حول أمريكا معلومات واسعة، وهو يراقب عن كثب جميع الحوادث في هذه الأماكن والسلطان متواضع ورزين إلى درجة حيّرتني شخصيًّا، وهو لا يجعل جليسه يشعر بأنه حاكم وسلطان، كما يفعل كل الملوك الأوروبيين في كل مناسبة، يلبس ببساطة ولا يُحبُّ الفخامة، أفكاره عن الدين والسياسة والتعليم ليست رجعية، ومع ذلك فإنَّه متمسك بدينه غاية التمسُّك، يرعى العلماء ورجال الدين، ولا ينسى بطريرك الروم من عطاءه الجزيل.

الحقيقة أنني أستطيع أن أقول وبكلّ ثقة: إنه إذا استمر الأتراك فى السير في الطريق الذي رسمه هذا السلطان، وإذا لم يظهر عائق سياسي؛ فإنهم سيسترجعون مجدهم وقوتهم وأكثر من ذلك، فإنهم سيصلون إلى مستوى الدول الأوروبية في مجال الثقافة والاقتصاد في مدة قصيرة.

جمال الدين الأفغاني: إنّ السلطان عبد الحميد لو وزن مع أربعة من نوابغ رجال العصر لرجحهم ذكاء ودهاء وسياسة.

البطريرك الماروني إلياس الحويك: لقد عاش لبنان وعاشت طائفتنا المارونية بألف خير وطمأنينة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، ولا نعرف ماذا تخبئ لنا الأيام بعده.

الكاتبة الامريكية اليزابيث ورملي ليتمر: في كتابها روسيا وتركيا في القرن التاسع عشر قسم ١٤ صفحة ٣٤٣-٣٥٦ ما يلي :ان السلطان عبد الحميد الذي جعله سوء حظه أن يرتقى العرش في أكثر العهود حساسية ، كان جاداً غاية الجد ، اذ يعمل بطاقة تسبق جميع وزرائه بعدة مراحل ، وهو مثل الملكة فكتوريا يجمع كل السلطات في يديه ، ولا يوقع على أي شيء دون قراءته ، ويأمر بترجمة الجرائد الأوروبية ويقرأها ، وهكذا أثبت هذا السلطان في مدة قصيرة أنه سياسي من الدرجة الممتازة حيث أدار الامبراطورية العثمانية الواسعة التي كانت مشرفة على الزوال إدارة ممتازة وبدأ بإصلاحها وترقيتها .

هذا السلطان العثماني العادل النزيه السياسي المحنك والذي له فراسة المؤمن المسلم والنظرة الثاقبة يقف بالمرصاد ويحذر أمام الأنشطة الصهيونية والدفاع عن فلسطين طيلة عهده وحياته ومجابهة مؤامرات بعض دول الغرب المستمرة .

والمؤرخ التركي المعروف اسماعيل حامي رانشماند يقول :كان السلطان عبد الحميد مثال العفة والاحترام والوقار وقال عنه رشيد بك من وزراء داخلية السلطان عبد الحميد في مذكراته :كان عفيفاً بكل معنى الكلمة ، إذ لم يكن يمد عينه إلى عرض أو مال أحد ،وكان حليماً ، صبوراً ،رحيماً وعن تدينه قالت ابنته عائشة:كان والدي يؤدي الصلوات

الخمس في أوقاتها ويقرأ القران الكريم ، وكان كثير الارتياد للجوامع لاسيما أثناء شهر رمضان ، إذ كان يذهب الى جامع السليمانية.

أما السفير الأمريكي المستر س.س. كوكس فيقول في كتابه مذكرات دبلوماسي واصفًا السلطان عبد الحميد: هو أكثر الحكام الموجودين في العالم عملًا وجدًا واهتماماً واستقامة ويقظة، وأنظفهم وجدانًا، يتعامل بصدق وعدل مع الجميع، وكل كلمة منه تدل على طيبة قلبه وعلى ذكائه ويستمر قائلًا: لقد درست إصلاحات الأتراك طوال العصور الثلاثة الأخيرة وأقتنعت بأن السلطان قادر على إعطاء دفعة كافية للتعجيل بالتقدم البطيء للإصلاحات التركية، وهذه الدفعة ستقدم بلده نحو النور والحرية والمدنية إن وجود شخص صافي النية وصريح ومتفهم، ومستعد أن يحصر كله وقته لصالح أمته إن وجود مثل هذا الشخص على رأس الدولة العثمانية، لنعمة طيبة مباركة، فالسلطان ليس شخصًا محبوبًا فقط، بل في الوقت نفسه على دراية واسعة بأمور الدولة.

ويقول اللورد فيشر الشهير الذي كان قائدًا للاسطول الإنجليزي في مذكراته التي نشرها في جريدة التايمز: بداخلي احترام عميق لشخص السلطان عبد الحميد خان، رغم أن سفيرنا لم يشاركني رأيي هذا .

خدماته للأمة الإسلامية: يعتبرالسلطان عبد الحميدآخرمن تقلد الخلافة بحق فعمل من أجلها، وخدم الأمة الإسلامية مدة ٣٣ سنة ومن خدماته

التي قدمها:

١-الاهتمام بالعلم والعلماء: أدرك السلطان عبد الحميد أن كل ماحاق بأمته من هزائم كان مرده الجهل الذي أطبق على الدولة العثمانية، فعمل جاهداً على نشر العلم، فبنى المدارس والمراكز العلمية، حيث بنى مدرسة ابتدائية في كل قريةٍ تقريباً، وإعدادية وثانوية في كل ولاية، وجعل التعليم الابتدائي إلزامياً، ومن صور دعمه للعلماء :أنه عندما اشتهر أديسون باختراعاته أرسل السلطان عبد الحميد له عرضاً بالمجيء إلى اسطنبول للاستقرار فيها، وإجراء البحوث ،مع تقديم كل التسهيلات اللازمة وإعطائه أربعة أضعاف ماكان يأخذه في بلده لكنه اعتذر مفضلاً البقاء في وطنه.

٢-سكة حديد الحجاز: تعتبر سكة الحجاز من أعظم أعمال السلطان عبد الحميد، فقد قام بإنشاءها عام ١٩٠١م وانتهت عام ١٩٠٨م، وكانت برأسمال إسلامي وعمال مسلمين، وقد جمع التبرعات من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وافتتح السلطان عبد الحميد قائمة التبرعات بتقديم ٣٢٠ألف ليرة ذهبية من ماله الخاص، وبلغت تكلفتها ثلاث ملايين ليرة ذهبية وقام السلطان عبد الحميد بهذا العمل لتقوية الروابط بين المسلمين والخلافة،واختصرت السكة رحلة الحج -التي كانت تحتاج لخمسة أسابيع- لثلاثة أيام؛ وقد كانت ضربة قوية للاستعمار الأوروبي الذي عارض هذا المشروع ويعتبر مشروع السكة من الخطط السياسية الذكية

للسلطان عبد الحميد في مواجهة الاستعمار الأوربي.

٣- لقد تنبه السلطان عبد الحميد لمطامع اليهود بفلسطين منذ زمن مبكر، فقام بعدةخطوات للتصدي لهم منها:

- أخذ قرار عام١٨٨٣م بمنع استيطان اليهود الروس الذين طردتهم روسيا في فلسطين.

- عام ١٨٨٤م حدد مدة الزيارة لليهود بثلاثين يوماً فقط ثم مددت إلى ثلاثة أشهر بسبب الضغوط الأوروبية.

- قام عام ١٨٨٧م بفصل مدينة القدس وربطها بالباب العالي للإشراف عليها مباشرةً.

- قدِمَ في عام ١٩٠٢م وفد يهودي مؤلف من ثلاثة زعماء يهود على رأسهم قراصوه مدير أحد البنوك وقدموا طلب للسلطان عبدالحميد فيه:

- إباحة دخول اليهود إلى فلسطين في أي يوم من السنة للزيارة.

- السماح لليهود بإنشاء مستعمرة ينزل فيها أبناء جلدتهم قرب القدس.

وذلك مقابل :

١- وفاء جميع ديون الدولة العثمانية المستحقة.

٢- بناء أسطول لحماية الدولة العثمانية.

٣- تقديم قرضٍ بخمسةٍ وثلاثين مليون ليرة ذهبية بدون فائدة.

فطردهم السلطان عبد الحميد وقال لهم: ليحتفظ اليهود بأموالهم فالدولة العلية لا يمكنها أن تحتمي وراء حصون بنيت بأموال أعداء

الإسلام فقام اليهود بالتآمر على السلطان مع جمعية الإتحاد والترقي فقاموا بالإنقلاب عليه وخلعه.

إضافة لما سبق فقد كان للسلطان عبد الحميد اسهمات عظيمة في إدخال الحضارة إلى الدولة العثمانية نذكر منها:

١- مد خطوط التلغراف في الدولة العثمانية عام١٨٧٧م،وقد كانت معظم الدول الأوروبية في ذلك الوقت لا تملكه.

٢- القيام بالتنقيب عن البترول واستقدم بعثة من اليابان للقيام بذلك، لكنه خلع قبل وصولها.

٣- القيام ببناء الغواصات، في حين أن بريطانيا وهي أعظم دولة في ذلك العصر كانت لاتملك غواصة واحدة.

وأخيراً يمكننا أن نذكر بعض الأعمال المشرفة التي قدمها للعرب خاصةً فقد قام بدعم الثورة العرابية ورفض الخضوع لمطالب الاحتلال البريطاني بعزل أحمد عرابي، بل رفعه إلى رتبة أمير لواء، وكان رفع هذه الرتبة من اختصاص السلطان، وتقلد العرب في عصره المناصب العلية في الدولة حتى كان بعضهم رئيس مجلس وزراء واعتمد عليهم، فكان من مستشاريه الشيخ أبوالهدى الصيادي الحلبي ، كما قام أيضاً بترميم الحرم المكي وإدخال إضافات هامة إليه.

<u>في الميزان</u>: ليس هناك شخصية في التاريخ الإسلامي المعاصر لقيت من الظلم والإجحاف والافتراء بقدر ما لقيت شخصية السلطان عبد

الحميد الثاني ، فقد صُوِّر من قِبل أعدائه اليهود والأرمن والاتحاديين فى صورة السفاح؛ فالأرمن أطلقوا عليه في كتاباتهم لقب السلطان الأحمر، وأطلق عليه جلادستون لقب المجرم الكبير.

وحملات التشويه فى حقّه لم تسلم منها كتب بعض المؤلفين العرب التي صوّرت السلطان في صورة الطاغية مثل كتاب الانقلاب العثماني لجورجي زيدان، والدولة العثمانية قبل الدستور وبعده لسُليمان البستاني ولكنَّ التاريخ أبى إلاَّ أن يقول كلمته في حقِّ هذا الرجل الذي صمد في وجه اليهود والقوى الدولية الغاشمة صمود الأبطال، وهو صابر محتسب حتى خُلع عن عرشه.

من أهم صفات السلطان عبد الحميد الرحمة والتسامح، على الرغم من أن المعروف عنه العكس تمامًا؛ فقد صُوِّر من قبل أعدائه بصورة السفاح، بل لعلّ صفة الرحمة الزائدة عن الحدِّ كانت نقطة الضعف عنده، ويكفي القول: إنّ المؤرخين يذكرون أنّ السلطان كان يُبدِّل على الدوام حكم الإعدام الذي يُصدره القاضي إلى السجن المؤبد أو إلى مدّة أقل، ولم يُصادف أنّه صادق على حكم الإعدام إلا مرتين: الأولى عندما قتل أحد العاملين في القصر زميلاً له، والثانية عندما قام شخص بقتل والديه أمّا بالنسبة لمعارضيه السياسيين والساعين إلى قلب نظام الحكم وأكثرهم من الاتحاديين الذين ينتسبون إلى الماسونية؛ فلم يقم بإعدام أو إغراق

أي واحد منهم في بحر مرمرة (البوسفور) كما أشيع، وكلها اتهامات أوردها اليهود وأعوانهم لتشويه تاريخه وتهميش نضاله ضد الصهيونية العالمية وأعوانها؛ لأنه كشف مخططاتهم وفضح مؤامراتهم وقاومهم طيلة ٣٣ سنة من تاريخ حُكمه فهذه الروايات ليس لها سند صحيح، فكل ما كان يفعله هو استمالة قلوب أعدائه، أو نفيهم إلى بلد آخر، مع إغداق المال عليهم ليعيشوا بكل رفاهية .

ولقد ترددت كثيرًا قصة حادثة (٣١ مارس) التي قُتل فيها عدد من الاتحاديين، والتي كانت عبارة عن حركة تمرُّد وعصيان قام بها بعض الجنود، واشترك فيها بعض طلبة المدارس الدينية والصوفية، وبعض المدنيين المعارضين لجمعية الاتحاد والترقي، واتهم السلطان بأنه المدبِّر لهذه الحادثة، وأنّه كان يهدف من خلالها إلى القضاء على الجيش والعودة إلى الحكم الاستبدادي، لكن التاريخ أثبت أنها كانت مجرّد حجة لخلع السلطان عن العرش، وأنه لم يكن له يدٌ فيها أمّا مذابح الأرمن المذكورة حتى في الكتب المدرسية والتي وصفت بالوحشية، وقُتل فيها عددٌ يتراوح بين ٢ مليون إلى ٣ مليون أرمني في أبشع صور الإجرام، فلقد اتهم السلطان بأنه المسئول عنها، ولكنَّ التاريخ أثبت أيضاً أن السلطان منها براء، وأن اليهود في الباب العالي كانوا وراء تلك المذابح، وبالأخص المجموعات الماسونية المنضوية تحت لواء محفل النور في

أنقرة وإسطنبول،وهذه الجرائم طوتها صفحات التاريخ؛ لأنّ الدول الغربية تحاول طمس معالمها ، وإلصاق التهمة فيها بالسلطان، وتتجاهل المجازر التي ارتكبها الأرمن أيضاً فى حقِّ المسلمين؛ حيث غدَروا بالمسلمين الذين خرجوا للجهاد، فقتلوا النساءَ والأطفال في غَيْبتهم.

أمَّا بالنسبة لثورات الأرمن فقد كان الروس والإنجليز هم الذين كانوا يشجعون الأرمن للقيام بها ضدَّ الدولة العثمانية، للأسباب نفسها التي تدفع الدول الغربية وغيرها اليوم لإثارة النعرات الطائفية في البلاد الإسلامية تحت شعار: فرِّق تسُدْ، وهذه الثورات لم تكن بسبب سوء معاملة الدولة العثمانية لرعاياها المسيحيين كما يتوهم البعض، ولكن استغلالاً لروح التسامح، ولإحراج الدولة العثمانية من أجل كسب مزيد من الامتيازات،ولقد شهد بهذا دجوفارا أحد كبار ساسة رومانيا ومؤرخيها .

والسلطان عبد الحميد المعروف بسياسته الإسلامية والذي كان يرى أن خلاص الدولة العثمانية وقوتها في اتباع ما جاء في القرآن والسُّنَّة، وقام بإرسال دعاة مسلمين مع المئات بل الآلاف من الكتب الإسلامية إلى كل أنحاء العالم الإسلامي ؛ لجمعهم تحت راية واحدة هي: يا مسلمي العالم،اتحدوا لم ترحمه أقلام الحاقدين فاتهموه بحرق المصاحف زورًا وبهتانًا، وحاولوا تزوير الحقائق التي تقول إن الكتب التي أمر بإحراقها

هي كتب دينية طافحة بالخرافات والأساطير وتمسُّ عقيدة المسلمين ولذلك جمعتها وزارة المعارف وفرزتها لجنة من العلماء في ١٥٠ جوالاً، وأمر بها فأُحرقت .